

إجلاء النبي ﷺ لليهود عن المدينة

(٢ - ٥٥ / ٥٨٦ - ٦٢٦)

٦٥٦ - ٦٢٦

أ.د. محمد بن فارس الجميل

كلية الآداب - قسم التاريخ

جامعة الملك سعود

مقدمة:

إن الهدف من هذا البحث هو محاولة الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بإحلاء الرسول ﷺ لليهود من المدينة. هل مبعث ذلك أسبابٌ دينية، أم عرقية، أم مادية، أم أسبابٌ موضوعية خالصة؟

من المعلوم أنه حينما قدم النبي ﷺ المدينة بذل جهوداً صادقة من أجل التعايش مع جميع الأعراق والديانات في ذلك المجتمع السياسي الناشئ، وأن ما عرف بصحيفة المدينة تكشف بوضوح مقدار الجهود الصادقة التي بذلها رسول الله ﷺ من أجل دمج اليهود ضمن مجتمع المدينة الجديد، فقد جاء في الصحيفة: "وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة... وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم". لكن يبدو أن الأحداث التاريخية المتلاحقة في المدينة تجاوزت هذه النظرة المتسامحة تجاه اليهود مما أدى أخيراً إلى إجلائهم عن المدينة.

وهذا هو موضوع البحث.

الوجود اليهودي في يثرب:

ليس لدينا تاريخ محدد وثابت عن بداية وجود اليهود في يثرب ولا حتى عن أصل أولئك اليهود^(١). ولكن لا بأس من الإشارة إلى ما ذكرته بعض المصادر عن نزوح بعض القبائل اليهودية إلى يثرب واستيطانها.

ذكر ابن رسته (توفي بعد سنة ٣١٠ هـ) وهو ربما يعد من أقدم المصادر التي حاولت الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بتاريخ وجود اليهود في يثرب، إلى أن وجودهم فيها يعود إلى أيام النبي موسى عليه السلام، عندما أرسل حملة عسكرية من بني

^(١) انظر جواد علي: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، د.م، ج ٦، ص ٥١٦-

٥٣٦، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م؛

إسرائيل إلى الحجاز لتأديب العماليق الذي طفوا في البلاد وعتواً كبيراً، فكان هذا أول سكن اليهود للحجاز بعد العماليق^(١).

ثم خرجت قريظة وأخوتهم بنو همدل وعمر بن الخزرج بن الصريح وبنو النضير من الشام إلى يثرب حيث تبعوا اليهود الأوائل، فنزلوا العالية على واديين يقال لهما مُذَنِيْب ومَهْزُور، فنزلت بنو النضير مُذَنِيْب واتخذوا عليه الأموال ونزلت بنو قريظة وهدل على مَهْزُور واتخذوا عليه الأموال^(٢)، وكانوا أول من احتضر بيثرب الأبار واغترس الأموال. ثم يضيف ابن رسته إلى هذه القبائل جماعات آخر من اليهود وهي: بنو ضخم وبنو زعوراء وبنو ماسكة وبنو القمعة وبنو زيد اللات، وهم كما يقول ابن رسته رهط عبدالله بن سلام^(٣) وبنو قينقاع وبنو حجر وبنو ثعلبة وأهل زهرة وأهل زباله وأهل يثرب وأهل القصيص وبنو ناغصة وبنو عكوة وبنو مزاية^(٤).

ويقدم أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ) رواية لا تختلف كثيراً عن رواية ابن رسته فيما يتصل ببداية الوجود اليهودي بالحجاز وعلاقته بالحملة التي يقال أنه قد أرسلها نبي الله موسى لغزو العماليق^(٥).

ولكن لعل أحد وجوه الاختلاف بين روايتي ابن رسته والأصفهاني، هو أن

(١) أحمد بن عمر بن رسته: كتاب الأعلام النفسية ويليهِ كتاب البلدان لليقوي، تأليف أحمد بن يعقوب اليعقوبي: لندن، بريل، ١٩٨٢م، ص ٦٠-٦١؛ علي بن أحمد السهمودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج ١، ص ١٥٩-١٦١.

(٢) ابن رسته: الأعلام، ص ٦١؛ السهمودي، وفاء الوفاء، ج ١، ص ١٦١. ومُذَنِيْب ومَهْزُور واديان في الجهة الشرقية من المدينة تسمى العالية. انظر عاتق غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، الطبعة الأولى، مكة، دار مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٥٢؛ أحمد ياسين الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، الرياض، منشورات الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣) ابن رسته: الأعلام، ص ٦١.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين: الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ج ٢٢، ص ٩٧-٩٨.

الأصفهاني يعزّو انتقال بني النضير وقريظة وبنو هديل من الشام إلى يشرب إلى حادثة إستيلاء الروم على بلاد الشام وتغلبهم على اليهود^(١) بينما ابن رسته يربط بين نزوح هذه القبائل وحملة النبي موسى على الحجاز.

ويوضح ولفنسون حادثة انتقال اليهود من الشام إلى الحجاز بقوله، إنه بعد حرب اليهود والرومان في سنة (٧٠ م) التي انتهت بخراب فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشتت اليهود في أصقاع العالم قصدت جموع كثيرة أخرى من اليهود بلاد العرب^(٢) وكذلك فإن موشيه جل Moshe Gil يميل إلى القول أن اليهود دخلوا الحجاز واستوطنوها على فترتين من فترات الغزو الروماني لفلسطين وذلك في سنة (٧٠ م) واحتمالاً في سنة (١٣٥ م)^(٣).

واضح من هذا أن كلا الباحثين يرفضان ضمناً قبول الروايات القائلة إن الوجود اليهودي في الحجاز يعود إلى أيام نبي الله موسى عليه السلام.

على كل، إذا كان من الممكن التسليم بأن اليهود دخلوا الحجاز فيما بين عامي (١٣٥ م - ٧٠ م) وهو افتراض لا يخلو من الصحة لارتباطه بأحداث تاريخية وقعت في الشام لا يمكن تجاهلها، فإنه ليس من السهل التسليم أيضاً بالروايات التي ترجع وجود اليهود في الحجاز إلى ما قبل الميلاد أي إلى أيام نبي الله موسى عليه السلام لأسباب يطول شرحها.

وبالنسبة للسؤال المتعلق بأصول هذه القبائل والبطون أكانت عبرانية الأصل أم أنها قبائل عربية تهودت؟ فإنه ليس بالمستطاع تقديم إجابة شافية عن هذا السؤال، حيث إن أسماء هذه القبائل والبطون أسماء عربية، وقد ذكر اليعقوبي

^(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢، ص ٩١.

^(٢) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، مصر، مطبعة الاعتماد، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م، ص ٩.

^(٣) M, Gil, Ibid., p.220.

(ت: ٢٨٤هـ) في تاريخه أن أغلب الطوائف اليهودية في الحجاز من العرب المتهود^(١). لذلك فإن مرجليوث Margoliouth لم يجد في أسماء هذه الجماعات اسماً يحمل الملامح العبرانية غير اسم قبيلة زعوراء، وتابعة على ذلك جواد علي^(٢).

ومن الطريف الإشارة هنا إلى أن زعوراء، بطن من بطون الأوس من ولد جسم من بني عبد الأشهل^(٣). لذلك فإنه ليس سهلاً التوفيق بين زعوراء اليهودية وزعوراء بني عبد الأشهل^(٤) ولابد أن الأمر لا يخلو من لبس.

أما موشية جل فلا يستبعد وجود صلة بين القبائل البدوية المشهورة من جذام في أرض مدین الذين يعرفون بأبناء ثيرون وكذلك يهود الحجاز وذلك لأوجه الشبه الكبيرة بينهم^(٥).

ولكن فيما يتعلق بأصل قبيلتي بني النضير وقريظة، فإن اليعقوبي وهو أحد أقدم المصادر التي ناقشت أصلهم، يذكر أن لهم أصولاً عربية، حيث أن بني النضير فخذ من جذام، قيل إنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير، فسموا به^(٥). وكذلك بنو قريظة هم حسب رأي اليعقوبي فخذ من جذام، ويقال إن تهودهم كان في أيام السموأل بن عاديأ لسيد تيماء، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه^(٦). ولم يقدم اليعقوبي دليلاً واحداً يثبت صحة ما ذهب إليه.

(١) أحمد بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٠هـ، ج ١، ص ٢٥٧.
وقال اليعقوبي في الموضع نفسه: "تهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان وقوم من جذام".

(٢) انظر جواد علي: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٥٣٢.

(٣) محمد بن الحسن بن دريد: الإشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأولى، بيروت،

دار الجبل، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٤٤٣؛ محمد بن علي بن حزم: جمهرة أنساب العرب، الطبعة

الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ص ٣٣٨.

(٤) M, Gil, Ibid., p.218.

(٥) اليعقوبي: تاريخ، ج ١، ص ٤٩.

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج ١، ص ٥٢. حسب علمي لا يوجد في شبه جزيرة العرب جبال تعرف بجبال

قريظة أو النضير. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، وكذلك الروض المعمار للحميري.

وعلى النقيض من ذلك فإن ابن رسته يرجع نسب قريظة والنضير إلى نبي الله هارون بن عمران عليه السلام^(١) وتابعة في ذلك أبو الفرج الأصفهاني، فذكر أن بني قريظة والنضير يقال لهم: الكاهنان، وأنهم من ولد الكاهن ابن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران عليه السلام. وكانوا بنو احي يثرب بعد وفاة نبي الله موسى^(٢).

وحسب ما ذكره جواد علي فإن كلاً من تولدكة Noldeke وأوليري O'Leary لا يستبعدان كون بني النضير وقريظة من طبقة الكهان في الأصل، هاجروا من فلسطين على أثر الحوادث التي وقعت فيها فسكنوا في هذه الديار، أي الحجاز^(٣).

أما بنو قينقاع فهم القبيلة الثالثة من القبائل اليهودية المشهورة التي كانت في المدينة عندما هاجر إليها الرسول ﷺ ولا نعرف الشيء الكثير عنها، سوى أنها إحدى القبائل اليهودية الثلاث بالمدينة، وأنها أول قبيلة يهودية نقصت عهداً مع رسول الله ﷺ بعد غزوة بدر، وأن أحد أعيانها وأصحاب السيادة فيها، الحصين بن سلام، كان أول من أسلم من يهود، وأن رسول الله ﷺ أسماه عبداً لله^(٤).

ولعل ما يرجح كون بني قينقاع عبرانيين أصلاً هو ما جاء في ترجمة عبد الله بن سلام عند ابن حجر، الذي لم يذكر مصدره، فقد قال عنه: "عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام،

(١) ابن رسته: الأعلام، ص ٦١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢، ص ٩٧.

(٣) انظر جواد علي: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٥٢٢.

(٤) انظر عبد الملك بن هشام الحميري: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت، ج ٢، ص ١٦٣ - ١٦٤، ١٧٥ - ١٧٦، ١٧٦، ص ٥٠ - ٥٣.

حليف القواقل من الخزرج، الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليفاً لهم، وكان من بني قينقاع^(١).

أما أم المؤمنين صفية بنت حيي (ت: ٥٢هـ) فنسبها في كلتا القبيلتين بني النضير وبني قريظة، حيث إن أباهما حيي بن أخطب من بني النضير وأما برة بنت سموأل من بني قريظة. وحسب بعض الروايات فإن رسول الله ﷺ قد شهد لها بصحة نسبها الإسرائيلي وعراقاة أصلها، فعندما استبنت أم المؤمنين عائشة وصفية، قال رسول الله ﷺ لصفية: "ألا قلت أبي هارون وعمي موسى^(٢)".

لذلك فإذا كانت صحة نسب البطون اليهودية ومصيرها لا يزال محل خلاف بين ذوي الاختصاص من المؤرخين وغيرهم فإن صحة نسب يهود بني النضير وقريظة وقينقاع أقل إشكالاً، فهم بقايا من أهل الكتاب من بني إسرائيل في الحجاز. وهذا على الأقل ما يفهم من بعض نصوص القرآن الكريم وما يروى عن الرسول ﷺ.

١ - إجلاء يهود بني قينقاع:

بنو قينقاع إحدى القبائل اليهودية الثلاث المشهورة في المدينة، وكانوا حلفاء للخزرج وقاتلوا إلى جانبهم ضد إخوانهم من يهود قريظة يوم بُعث^(٣). ثم لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وادع يهودها وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم

^(١) أحمد بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النمري القرطبي: نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٨هـ، بيروت، دار صادر، د. ت، ج ٢، ص ٣٢٠، (ت: ٤٧٢٥).

^(٢) انظر الخبر بتامة وترجمة صفية بنت خُيي لدى محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د. ت، ج ٨، ص ١٢٠ - ١٢٨؛ وانظر الحديث المتعلق بنسب صفية عند أحمد بن حنبل: المسند، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د. ت، ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٦.

^(٣) انظر ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٢٠٤ - ٢٠٥؛ وانظر تفاصيل أحداث يوم بعثت عند الأصفهاني: الأغاني، ج ١٧، ص ١٢٢ - ١٢٣.

واشترط عليهم^(١). وذكر ابن حجر في الفتح نقلاً عن ابن إسحاق أن النبي ﷺ وادع اليهود لما قدم المدينة وامتنعوا من اتباعه فكُتب بينهم كتاباً وكانوا ثلاث قبائل: قينقاع والنضير وقريظة^(٢).

وذكر الواقدي رواية عن ابن كعب القرظي أكثر تفصيلاً، قال: "لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وادعته اليهود كلها، وكُتب بينه وبينها كتاباً، وألحق رسول الله ﷺ كل قوم بحلفائهم وجعل بينه وبينهم أماناً، وشرط عليهم شروطاً، فكان فيما شرط ألا يظاهروا عليه عدواً"^(٣).

ويبدو أن رواية الواقدي هذه هي إشارة للكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة لتنظيم العلاقة بين سكانها من الأنصار والمهاجرين واليهود وبقية العناصر السكانية الأخرى، وقد عرف ذلك الكتاب بصحيفة المدينة^(٤). "حيث وادع فيه الرسول ﷺ" يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم"^(٥).

يظهر من روايات السيرة أن قبيلة بني قينقاع كانت أول القبائل اليهودية

(١) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٤٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبدالعزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ج ٧، ص ٣٥٠، لم يرد في سيرة ابن هشام إشارة إلى القبائل اليهودية الثلاث بل اكتفى بالتعميم، حيث قال بن إسحاق: "وَدَع يَهُودُ وَعَاهِدَهُمْ"، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) محمد بن عمر الواقدي: المغازي، تحقيق: مارسدن جونز، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٧٦.

(٤) انظر بن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٤٧-١٥٠؛ وانظر محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة الرابعة، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٥٧-٦٤؛ وانظر مناقشة بنود الصحيفة لدى محمد بن فارس الجميل: النبي ويهود المدينة، الطبعة الثانية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ٥٧-٩٧.

(٥) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٤٧؛ الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٧٦.

التي أسلم بعض أفرادها إما عن إيمان ويقين مثل حبرهم عبد الله بن سلام^(١) أو تعوداً بالإسلام وهم يضمرون النفاق. وقد ذكر ابن إسحاق ثمانية من كبار أحبارهم الذين اشتهروا بالنفاق^(٢).

إن المتتبع للعلاقة بين الرسول ﷺ وبنو قينقاع في المرحلة الأولى يظن أن الأمر ربما ينتهي بإسلام معظم بني قينقاع لاسيما أن سيدهم وكبير أحبارهم عبد الله بن سلام كان قد أعلن إسلامه في الأيام الأولى لمقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولكن الغريب في الأمر أن العلاقة بين الطرفين لم تتطور أو تصل إلى المستوى المرجو بل سارت على النقيض من ذلك!

إن أولى الروايات التي تتعلق بما حدث بين الرسول ﷺ وبنو قينقاع ما ذكره ابن إسحاق من أنه فيما بين بدر وأحد جمع رسول الله ﷺ بني قينقاع في سوقهم، ثم قال: "يا معشر يهود اأخذوا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم". قالوا: "يا محمد إنك ترى، أنا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس"^(٣).

ثم ذكر ابن إسحاق آيتين من سورة آل عمران وقال أنهما نزلتا في بني قينقاع وهما قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ لَكُمْ آَلٌ عَمْرَان: ١٢٠﴾ وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ آلِ عَمْرَان: ١١٣﴾.

ثم يردف ابن إسحاق قائلاً: إن عاصم بن عمر بن قتادة حدثه أن بني قينقاع

^(١) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٦٣ - ١٦٤.

^(٢) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٧٤ - ١٧٥؛ وقارن أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، مصر، دار المعارف، د.ت، ج ١، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

^(٣) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٥٠؛ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ج ٢، ص ١٧٠.

كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد. فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه. ثم يشير ابن إسحاق بعد ذلك إلى تدخل عبد الله بن أبي بن سلول لصالح بني قينقاع، حيث من عليهم الرسول ﷺ وقال لابن أبي، "هم لك" وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة^(١).

من الملاحظ أنه في أثناء عرض ابن هشام لرواية ابن إسحاق المتعلقة ببني قينقاع يضيف في السياق رواية لعبد الله بن جعفر بن المسور بن مخزومة عن أبي عون لم ترد عند ابن إسحاق ومفادها أن امرأة من العرب ذهبت إلى سوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ هناك فجعل اليهود يريدونها على كشف وجهها فأبى ثم عمد الصائغ إلى طرف ثوبها ففغده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع^(٢). وهذا الخبر لا يخلو من إشكال من حيث انقطاع سنده.

ويقدم الواقدي أكثر من رواية لتفسير سبب الصدام الذي وقع بين النبي ﷺ ويهود بني قينقاع. الرواية الأولى ينتهي سندها بابن كعب القرظي وهي لا تختلف كثيراً في تفاصيلها عن رواية عبد الله بن جعفر، التي ساقها ابن هشام ومفادها أنه لما عاد رسول الله ﷺ من بدر (٢هـ). منتصراً بغت اليهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد^(٣).

أما الرواية الثانية للواقدي التي نقلها عن الزهري عن عروة، فهي تكاد تكون على النقيض من الرواية الأولى، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

^(١) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٥١-٥٢.

^(٢) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٥١.

^(٣) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٧٦.

سار إليهم رسول الله ﷺ بهذه الآية. فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة. أشد الحصار إلى هلال ذي القعدة سنة (٢هـ) حتى قذف الله في قلوبهم الرعب. قالوا: أفننزل ونطلق؟ فقال رسول الله ﷺ لا، إلا على حكمي! فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم فربطوا. قال: فكانوا يكتفون كتافاً... ثم توسط في شأنهم عبد الله بن أبي بن سلول فأطلقوا وكانوا أربعمئة دارع وثلاثمئة حاسر. وقال رسول الله ﷺ: لعنهم الله ولعنه معهم وأمر بهم أن يجلووا من المدينة^(١).

ليس في الروايات التي سبق عرضها ما يبنى على وجه دقيق عن طبيعة الجرم الذي ارتكبه يهود بني قينقاع، حيث إن قصة المرأة في سوق بني قينقاع لا تعد من الناحية المنطقية سبباً كافياً لمعاقبة بني قينقاع. أما أن يجاهر اليهود، بعدათهم للرسول ﷺ وأصحابه بعد مرجعه من بدر منتصراً ويستدرجوه للحرب فهو في نظري أمر مستبعد، فلو أن ذلك تم قبل يوم بدر لأمكن قبوله ولو تم بعد غزوة أحد لأصبح أكثر قبولاً لاسيما أن وضع الرسول ﷺ السياسي أصبح حينذاك حرجاً وذلك من الناحية العسكرية على الأقل فقد أضحى أقل قوة منه في يوم بدر مما أغرى الأعداء بالنيل من هيبة المسلمين^(٢). أما بعد بدر فإن الأمر صار مختلفاً تماماً ومن المستهجن أن يحدث مثل هذا التصرف من اليهود لأنه يدل على السفه وقصر النظر. ثم ماذا فعلوا بعد أن أغروا الرسول ﷺ بقتالهم؟ لقد نبذوا العهد، وأعلنوا الحرب، وأغلقوا دونهم أبواب حصونهم، وهل تكون الحرب بهذه الصفة؟ أي أن يعتصموا بحصونهم! ويفرضوا على أنفسهم الحصار حتى يستسلموا لحكم الرسول ﷺ.

إن أمر بني قينقاع وما وقع منهم تجاه المسلمين وما نتج عن ذلك من عقوبة

(١) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) انظر مثلاً: يوم الرجيع سنة ٣هـ، وكذلك بئر معونة في صفر سنة ٤هـ عند ابن هشام: السيرة،

ج ٣، ص ١٧٨، ١٩٣، ١٩٦.

لهم لا يزال في نظر أي باحث مدقق بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء، ومن المؤسف أن المصادر المتوافرة للبحث حالياً لا تسعف في الخروج برأي دقيق حول ما حدث، ولا بد أنهم قاموا بجرم كبير أكبر مما تذكره المصادر حتى استحقوا مصادرة الأموال وتجريدتهم من السلاح وإجلائهم عن البلاد^(١). بل قيل إن الرسول ﷺ قد همّ بقتلهم^(٢). فمن المحتمل أنه في أثناء إنشغال الرسول ﷺ في غزوة بدر وبعد عودته منها أدرك مدى خطورة مجاورة بني قينقاع للمسلمين في المدينة، وربما أنه قد بدر منهم في ذلك الوقت ما يبنى عن ذلك إذ لا يستبعد أنهم كانوا عيئاً للعدو على المسلمين يدلونه على عورتهم ويفضحون أسرارهم كما كانوا يسعون للفس بين المهاجرين والأنصار، مما أدى إلى تأزم الأمر بين الفريقين حتى أصبح أقل حادث - كحادث السوق مع المرأة - كفيل بالغليان الشعبي. لهذا قام الرسول ﷺ بطردهم من المدينة. وغنم المسلمون ما كان لهم من مال ولم تكن لهم أرضون؛ إنما كانوا صاغة - فأتخذ رسول الله ﷺ سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم^(٣).

٢ - إجلاء بني النضير:

جاء في أكثر من مصدر أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه. وقبل رسول الله ﷺ ذلك منهم^(٤). وعلى الرغم من

^(١) انظر الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٧٧- ١٧٨؛ ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٩٢؛ محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ج ٢، ص ٤٨١.

^(٢) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٧٧- ١٧٨؛ ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٢٩؛ الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٤٨٠.

^(٣) الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٤٨١؛ الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٧٩.

^(٤) انظر علي بن أحمد التيسابوري: أسباب النزول وبهامشه الناسخ والنسخ لأبي النصر هبة الله بن سلامة: بيروت، دار المعرفة، د. ت، ص ٣١٠؛ محمد بن عمر الرازي: تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ، ج ٢٩، ص ٣٧٩؛ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الكتب،

وجود هذا النوع من التفاهم على التعايش السلمي بين الطرفين، فإن بعض علماء وزعماء بني النضير كانوا يضمرون العداء لرسول الله ﷺ ولجماعة المسلمين مثل: حُيَّيَّ بن أخطب وأخويه أبي ياسر بن أخطب، وجُدَيَّ بن أخطب، وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وغيرهم^(١).

ويبدو أن يهود بني النضير مثل بقية اليهود لم يكونوا سعداء بما أسفرت عنه غزوة بدر من نتائج، حيث أعر الله المسلمين وكسر شوكة المشركين لذلك فما أن مضى شهران تقريباً على وقعة بدر، حتى بدأت تظهر دسائس يهود بني النضير وتآلبهم على المسلمين. ولعل أول مؤامراتهم المكشوفة ضد المسلمين في المدينة هو ما حدث في غزوة السويق^(٢). فقد جاء أبو سفیان على رأس قوة من فرسان قريش حتى نزل بالقرب من المدينة، ثم توجه إلى بني النضير حيث استقبله سيدهم وصاحب كنزهم حينذاك سلام بن مشكم، فقراه وسقاه وكشف له عن خبر المسلمين. فبعث أبو سفیان رجالاً من فرسانه فعاثوا فساداً في بعض نخيل المدينة وقتلوا رجالاً من الأنصار وحليفاً له. فما أن علم بهم رسول الله ﷺ حتى سار في طلبهم فبلغ قرقرة الكدر ولكن القوم فاثو بعد أن تخففوا مما كانوا يحملون من أزواد السويق. فسميت تلك الغزوة غزوة السويق^(٣).

ثم إن كعب بن الأشرف وهو أحد سادة بني النضير، شرب بريقه وأغاطه نصر الله للمسلمين في بدر، فذهب إلى مكة مغاضباً ومحرضاً قريشاً على رسول

١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ج١٨، ص٤.

(١) ذكر ابن إسحاق أسماء اثني عشر رجلاً من يهود بني النضير، كانوا يناصبون الرسول ﷺ العداء. انظر ابن هشام: السيرة، ج٢، ص١٦٠.

(٢) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، سُمي بذلك لإنسياقه في الحلق. انظر المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بمصر، إشراف: عبدالسلام هارون، طهران، المكتبة العلمية، د. ت، ص٤٦٧؛ وقرقرة الكدر: موضع بين الصويرة والحناكية باتجاه القصيم. انظر البلادي: معجم المعالم، ص٢٦٢.

(٣) ابن هشام: السيرة، ج٢، ص٤٧-٤٩؛ الواقدي: المغازي، ج١، ص١٨١-١٨٢.

الله والمسلمين، فأمر رسول الله ﷺ باغتياله عند عودته من مكة إلى المدينة^(١). وكان مقتله في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة^(٢).

وليس من المستبعد أن تحريض ابن الأشرف لقريش على رسول الله ﷺ هو الذي دفع بها إلى أن تكتب كتاباً إلى اليهود، تستعديهم على رسول الله ﷺ والمسلمين، فقد جاء عند الزهري أن قريشاً كتبت إلى اليهود بعد وقعة بدر: "إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم، أي - الخلاخل - شيء". فلما بلغ كتابهم اليهود، أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي ﷺ أن أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ولنخرج في ثلاثين حبراً حتى نلتقي في مكان كذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كانا^(٣).

وفي نهاية الرواية يكشف الرسول ﷺ نية الغدر لدى بني النضير فيحاصرهم بالكتائب في اليوم الثاني، ويقول لهم: "لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه"، فأبوا عليه ذلك، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء^(٤).

الملاحظ هنا أن هذه الرواية وإن كانت لا تخلو من القيمة التاريخية من حيث إشارتها إلى التآمر فيما بين قريش ويهود بني النضير ضد النبي ﷺ والمسلمين إلا أنها لا تخلو من إشكال لأنها تجعل وقت إجلاء بني النضير بعد وقعة وقبل أحد وهذا يخالف المشهور حيث أن المتواتر في الروايات التاريخية أن وقعة بني النضير وجلالهم كانا بعد أحد، أي في أوائل السنة الرابعة للهجرة^(٥).

^(١) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٥٤ - ٦٠؛ الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٨٤ - ١٩٣.

^(٢) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٨٤، ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٣١؛ الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٤٨٧.

^(٣) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٧٢ - ٧٣.

^(٤) الزهري: المغازي، ص ٧٢ - ٧٣؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج ٧، ص ٤٢١.

^(٥) انظر: J. M. B. Jones, "The Chronology of the Maghazi" Atexual Survey, BSOAS, vol 268. p.245-280, p.249m (1957) xix. وانظر العرض الجيد لمرويات تاريخ غزوة بني النضير =

وذكر موسى بن عقبة سببين متعارضين لغزوة الرسول ﷺ لبني النضير أحدهما: أن الرسول ﷺ خرج يستعين ببني النضير في دية الكلابيين^(١)، والسبب الثاني: أن بني النضير كانوا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا أحد (هـ) لقتال رسول الله ﷺ فحضورهم على القتال ودلوهم على العورة^(٢). فلما كلمهم رسول الله ﷺ في دية الكلابيين قالوا: "إجلس يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك ونقوم ونتشاور ونصلح أمرنا فيما جئنا له". ثم يذكر في نهاية الرواية أن بني النضير تأمروا على قتل رسول الله ﷺ، وأن الله أوحى لنبيه بنية غدرهم فغادر المكان، وعاد إلى المدينة، وأن الله أمر رسوله بإجلالهم وإخراجهم من ديارهم فمضى رسول الله ﷺ لأمر الله تعالى فيهم فحاصهم، ثم قاضاهم على أن يجلبهم ولهم أن يتحملوا بما استقلت به الإبل من الذي كان لهم إلا ما كان من حلقة أو سلاح. وكان إجلاء بني النضير في المحرم من السنة الثالثة للهجرة.

وكما هو واضح فإن هذه الرواية تختلف اختلافاً بيئاً عن الروايات السابقة فيما يتعلق ببواعث غزوة بني النضير. فأحد البواعث هو طلب الرسول منهم إعانتة في دفع دية القتلين الكلابيين من بني عامر. أما الآخر فهو انحياز بني النضير

= لدى محمد بن محمد العواجي؛ مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة الأولى، المدينة، عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج ١، ص ٣١٧-٣٢٢؛ ويميل العواجي إلى أن غزوة بني النضير كانت قبل أحد وبعد بدر بستة أشهر كما قال الزهري، ج ١، ص ٣٢١.

^(١) الكلابيان: هما رجلان من بني عامر قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأً، وكان معهما من

رسول الله ﷺ أمان وجوار، فأراد الرسول ﷺ أن يدفع ديتهما، فذهب إلى يهود بني النضير يستعين بهما في دفع الدية لأنهما حلفاء لبني عامر. انظر: ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٥٣، ٥٧؛ أحمد بن علي المقرئ: إمتاع الأسماع، تحقيق: محمود محمد شاكر، مصر، لجنة التأليف والترجمة، د. ت، ج ١، ص ١٧٨.

^(٢) موسى بن عقبة: المغازي، جمع ودراسة: محمد باقشيش أبو مالك، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٤م، ص ٣١٠-٣١٣؛ وقارن عروة بن الزبير: مغازي رسول الله ﷺ، جمع وتحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٦٤-١٦٥.

لجانب المشركين من أهل مكة في غزوة أُحد^(١).

أما الرواية الأكثر شيوعاً في مصادر السيرة النبوية فيقدمها ابن إسحاق، قال: "ثم خرج رسول الله ﷺ في دية ذينك القتيلين [الكلابيين] من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستغيثهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استغنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو هذا البيت، فيلقى عليه صخرة، فيريخنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى الصخرة على رسول الله ﷺ كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم. فأتى رسول الله - الخبر من السماء - بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيو لحريهم والسير إليهم^(٢). لأنهم خانوه وتآمروا على قتله، ولذلك فقد حاصرهم وأجلاهم عن المدينة بعد مصادرة ممتلكاتهم. وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة^(٣).

وكان خروج يهود بني النضير من المدينة يوماً مشهوداً، فقد "استقلوا

^(١) ذكر القرطبي في تفسيره لقول تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ أَمْ لَمْ تَلَوْا عَلَى حَصُونِ بَنِي النُّضَيْرِ وَهِيَ - البويرة - حين نقضهم العهد بمعاونة قريش عليه يوم أحد، أمر بقطع نخيلهم وأحراقها، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٦٨٠.

^(٢) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٩٩ - ٢٠٣؛ الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٣٦٣ - ٣٦٧؛ الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٥٥١ - ٥٥٢.

^(٣) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٩٩؛ وذكر الواقدي: أنها في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، ج ١، ص ٣٦٣.

بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم^(١) وجاء في وصف آخر لخروج بني النضير من المدينة "... ثم شقوا سوق المدينة والنساء في الهودج، عليهن الحرير والديباج، وقطف الخز والخضر والحمرة، وقد صف لهم الناس، فجعلوا يمرون قطاراً في أثر قطار، فحملوا على ستمائة بعير ... ومروا يضرّبون بالدفوف ويضمرون بالمزامير وعلى النساء المعصفرات وحلي الذهب، مظهرين ذلك تجلداً..."^(٢).

وكانت أموال بني النضير صفيّاً لرسول الله ﷺ، خالصة له، حبساً لنوابه، ولم يخمسها ولم يسهم لأحد، وقد أعطى ناساً من أصحابه، ووسع في الناس منها^(٣).

إن الذي يمكن استنتاجه من كل ما سبق من الروايات ضعيفها وقويها أنها كلها تقريباً تتجه إلى اتهام يهود بني النضير بمحاولة الغدر برسول الله ﷺ والتآمر على حياته، بل لم تبق المؤامرة في بعض الأحيان مقصورة على حياة الرسول ولكنها تتعداه إلى تهديد أمن المسلمين في المدينة عموماً مثل حادثة غزوة السويق وكذلك موقف بني النضير مع قريش في يوم أحد، إن جاز لنا قبول هذه الرواية. وهناك بعض الروايات التي تحدثت عن حصار الرسول ﷺ لبني النضير وجلائهم ولكنها لم تقدم سبباً أو تفسيراً مقبولاً لما حدث. ومثل هذه الروايات الأخيرة يصعب التسليم بها لأن الرسول ﷺ لا يمكن أن يقدم على عمل عسكري كهذا فيه طرد أقوام ومصادرة أموال بدافع رغبة شخصية خالصة لا غير. بل لابد وأن يكون هناك أسباباً في غاية الواجهة والخطورة دفعت الرسول الكريم لاتخاذ مثل هذه القرارات الصعبة في حق بعض الجماعات كاليهود مثلاً.

ولعل أفضل شهادة تدين يهود بني النضير، هي ما نزل فيهم من أي الذكر

(١) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٢٠١.

(٢) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٥٨.

الحكيم، حيث نزلت فيهم سورة الحشر^(١) وعرفت عند بعض العلماء بسورة بني النضير^(٢)، أفاضت تلك السورة في بيان مساوئهم وإظهار معائبهم ووصفتهم بالكفر وأنهم شاقوا الله ورسوله. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ خِصْفَتُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ وَلَوْ لَا أَنْ كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ لَعَذِبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعُقَابِ﴾ [الحشر: ٢-٤]^(٣).

إن قرار إجلاء بني النضير لم يكن وليد لحظة، أي لم يكن قراراً متعجلاً، فلا بد أنه كان نتيجة لتجاوزات متراكمة أقدم عليها بنو النضير بدءاً من انتصار الرسول ﷺ في بدر وما أعقب ذلك من نشاط بني النضير المحموم لدى قريش لإثارتهَا ضد المسلمين مروراً بأحد وما قاموا به من تأمر مع قريش ضد المسلمين، ثم موقفهم من دية قتلى بني عامر، وتأمرهم على اغتيال الرسول ﷺ، هذه الأسباب مجتمعة يظهر أنها كانت وراء اتخاذ قرار إجلالهم عن المدينة، لأن تعامل الرسول ﷺ معهم خلال أربع سنوات أثبت استحالة التعايش المشترك نظراً لأنهم أصبحوا خطراً يهدد أمن المجتمع واستقراره.

ثم لا بد من التسليم بأن قرار نفيهم عن المدينة لم يكن قراراً شخصياً اتخذه رسول الله ﷺ بمحض إرادته ولكنه كان بتوجيه إلهي، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

^(١) التيسابوري: أسباب النزول، ص ٣١٠-٣١٤.

^(٢) انظر البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ١٤٧٨، (باب ١١: حديث بني النضير)، وانظر حديث رقم (٣٨٠٥) عند البخاري، كذلك عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل: سورة النضير.

^(٣) انظر تفسير هذه الآيات لدى القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٦.

وما دام الأمر كذلك فلا بد أنهم قد اقترفوا ذنباً يتناسب والعقوبة الإلهية

التي حلت بهم.

٣ - قضية يهود بني قريظة:

إن المصادر التاريخية التي تحدثت عن قضية بني قريظة وما لحق بهم من نكال، لم تتفق على عدة من قتل منهم، فذكرت أرقاماً متفاوتة هي: تسع مئة، وثمان مئة، وسبع مئة وست مئة وخمسون، وأربع مئة، وأقلها أربعون رجلاً. كما اختلفت كذلك في أمر السبي من النساء والأطفال، وأين كان بيعهم؟ هل تم في المدينة أم خارجها في خيبر وتيماء ونجد والشام؟.

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ستظهر لاحقاً في أثناء الحديث عن مصير بني قريظة. الأمر الذي يجب تأكيده عليه هنا هو أن عقوبة بني قريظة كانت مختلفة عن عقوبة بني قينقاع والنضير، وذلك حسب فداحة الجرم الذي ارتكبه يهود بني قريظة، لذلك فإن عدة من قتل منهم محل خلاف. وكذلك الأمر بالنسبة للسبي من النساء والأطفال فإن بيعهم في بعض الجهات خارج المدينة غير متفق عليه كذلك.

ولعل ما يلفت النظر هنا هو استحواد قضية بني قريظة على الجزء الأكبر من هذا البحث الوجيز، وذلك يعود إلى أهمية تلك القضية وخطورة العقوبة التي ترتبت عليها، وما تبعها لاحقاً في أدبيات الاستشراق من شجب واستنكار، لذلك كان لا بد من تفصيل القول في عقوبة بني قريظة من أجل تبيان وجه الحق.

أ - مصير بني قريظة:

جاء في رواية عند الواقدي، أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة صالح قريظة والنضير ومن في المدينة من اليهود على أن لا يكونوا معه ولا عليه. ويقال صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه منهم ويقيموا على معاقلم الأولى التي بين

الأوس والخزرج^(١).

أما متى بدأت الأحداث تنحو منحىً خطيراً بين الجانبين فهذا أمر ليس من السهولة تحديده بفترة زمنية معينة. وقد وردت رواية عند البخاري لا تخلو من إشكال حول تأزم الأمر بين المسلمين واليهود في المدينة وفيهم بنو قريظة فذكر بسنده عن عبدالله بن عمر قال: "حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومنّ عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحق بالنبي ﷺ فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع وهم رهط عبدالله بن سلام، ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة"^(٢).

هذا الحديث كما هو واضح فيه إجمال للعلاقة بين الرسول ﷺ واليهود في المدينة من جانبها السياسي وما آلت إليه من طرد وقتل، وليس فيها إشارة لزمان محدد. أما من الناحية التاريخية فإن بني قريظة امتنعوا عن مساعدة بني النضير عندما حاصروهم رسول الله ﷺ في السنة الرابعة للهجرة. ذكر الواقدي أن ابن أبي أرسل إلى كعب بن أسد زعيم قريظة يحثه على الانضمام إلى جانب يهود بني النضير والوقوف معهم ولكن كعباً رفض مساعدة بني النضير قائلاً: "لا ينقض من بني قريظة رجل واحد العهد. وفي رواية أخرى أنه قال: لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حي"^(٣)، واعتزلتهم قريظة ولم تُعنهم بسلاح ولا رجال ولم يقربوهم^(٤).

^(١) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٤.

^(٢) البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ١٤٧٨، (حديث: ٣٨٠٤)؛ مسلم: صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٨٧-١٣٨٨، (حديث: ١٧٦٦)؛ أبو داود: السنن، ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣، (حديث: ٣٠٠٥).

^(٣) انظر الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٣٦٨-٣٦٩، وقارن ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٥٨.

^(٤) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٣٧٠-٣٧١.

فمتى يا ترى وقعت تلك الحرب التي اشتركت فيها قريظة والنضير في جانب والمسلمون من الجانب الآخر. ثم لماذا يُطرد يهود بني النضير نتيجة لتلك الحرب وتبقى يهود بني قريظة؟

جاء في رواية للزهري بسنده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مفادها أن اليهود من بني النضير طلبوا مقابلة الرسول ﷺ لمحاورته في أمور دينية، وقد أضمروا الغدر برسول الله ﷺ وعندما اطلع على نيتهم، ذهب إليهم من الغد بالكتائب فحاصره، وقال لهم: "إنكم لا تأمنون عندي، إلا بعهد تعاهدوني عليه"، فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون ثم غدا الغد على بني قريظة بالخييل والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء^(١).

هذه الرواية لا تخلو من إجمال فيا ترى ما علاقة بني قريظة بمشكلة بني النضير مع رسول الله ﷺ ولماذا يطلب منهم رسول الله ﷺ كتابة عهد فيما بينهم؟ إن رواية الزهري موضع النقاش هنا ليس فيها أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى خيانة بني قريظة أو تحالفهم مع بني النضير.

ثم إن احتمال محاربة رسول الله ﷺ لكتائب القبيلتين في أن يظل احتمالاً ضعيفاً ولا بد من النظر لرواية الزهري مدار البحث بقدر من التحوط^(٢). لهذا فلا مناص من الافتراض أنه نتيجة لإجلاء بني النضير ومصادرة ممتلكاتهم، بدأ بنو قريظة يتوجسون خيفة من قوة المسلمين المتنامية وربما أقدموا على ما يوجب تجديد العهد معهم. فقد جاء عند ابن سعد عن حميد بن هلال أنه كان

(١) انظر: الزهري: المغازي، ص ٧١- ٧٥.

(٢) حاول ابن حجر العسقلاني تفسير إشكال حديث "حاربت قريظة والنضير، فأجلى بني النضير وأقر قريظة..." بقوله: كذا وقع تقديم قريظة على النضير وكأنه لشرفهم، وإلا فإجلاء النضير كان قبل قريظة بكثير. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ٤٢.

بين النبي ﷺ وبين قريظة "ولث من عهد" ^(١) والولث: هو العهد غير المحكم والمؤكد، وقيل "الولث: العهد المحكم" ^(٢). ويميل كستر M. J. Kister، إلى أن الإتفاق الذي كان بين رسول الله ﷺ وبني قريظة، هو ولث عهد أي اتفاق غير محكم على التعايش السلمي بين الطرفين وهو أشبه ما يكون بالمادة ^(٣). ومعلوم أن الموادعة، تعنى المصالحة، وتعنى أيضاً ترك الحرب والأذى. ومنه الحديث: "وكان كعب القرظي موادعاً لرسول الله ﷺ" ^(٤).

ويبدو أن مضمون ذلك الاتفاق أو "ولث من عهد" هو ما جاء عند موسى بن عقبة في مغازيه على لسان عمرو بن سعدى القرظي ^(٥)، مخاطباً قومه بني قريظة في يوم الأحزاب: "يا معشر يهود إنكم قد حالقتم محمداً على ما قد علمتم أن لا تخونوه ولا تنصروا عليه عدواً وأن تنصروه على من دهم يثرب، فأوفوا على ما عاهدتموه عليه" ^(٦).

وقد يستشف من المقولة المنسوبة لعمرو بن سعدى، الأساس الذي بُنى عليه العهد أو الموادعة بين النبي ﷺ ويهود بني قريظة، ويظهر في هذا العهد أو الموادعة أن هناك التزامات محددة يتعين على اليهود القيام بها ولكنها في المقابل لا تظهر مسؤولية المسلمين تجاههم. وليس من المستبعد أن مسؤولية المسلمين تجاه يهود بني قريظة مسؤولية ضمنية أي السماح لهم بالبقاء بالمدينة مع ضمان حمايتهم من أي اعتداء.

ويبدو أن رسول الله ﷺ قد أبرم مع يهود بني قريظة أكثر من عهد، ثم

^(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٧٧.

^(٢) انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

^(٣) Kister. M. J. "The Massacre of the Banu Qurayza" JSAL. 8. 1986. p.84.

^(٤) انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٦٧؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة "دع".

^(٥) انظر ترجمة عمرو بن سعدى القرظي، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٥٣٨.

^(٦) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢١٧؛ وقارن الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

ينقضونه، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

قال عنها المفسرون، كان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود قريظة فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدوه ثانية، فنقضوا ومالؤا الكفار يوم الخندق^(١). وجاء عند الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

أي الذين يا محمد أخذت عهودهم ومواثيقهم ألا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محارباً لك، كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد، ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم، كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك وهم لا يتقون الله. وروى الطبري عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَرِيظَةٌ، مَالُؤُوا عَلَى مُحَمَّدٍ أَعْدَاءَهُ^(٢) .

وهكذا يتبين من نصوص القرآن ومن أقوال جهابذة المفسرين أن يهود بني قريظة قلما يحترمون عهودهم مع رسول الله ﷺ وأنهم ينقضون عهدهم في كل مرة. بل لعل إشارة المفسرين إلى مساعدة بني قريظة مشركي مكة بالسلاح أنها كانت يوم أحد، إن مثل هذه الإشارة قد تفسر تدهور علاقة المسلمين مع بني قريظة في أعقاب أحد وإجلاء بني النضير وأن الرسول ﷺ نتيجة لذلك طلب منهم كتابة عهد فيما بينهم، وهذا قد يُفسر أو يزيل بعض الغموض الذي يلاحظه الباحث في رواية الزهري التي سبقت مناقشتها. ولكن هل صمد هذا العهد طويلاً أو كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

(١) عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الرابعة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ٣، ص ٣٧١-٣٧٣؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٨٠، ج ٨، ص ٣٠؛ وقارن الطبري: جامع البيان، ج ٩، ص ٢٥-٢٧.

(٢) الطبري: جامع البيان، ج ٩، ص ٢٥-٢٧.

الذي فسرهم عطاء، أن المقصود بذلك العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبينهم فنقضوها كفعل قريظة والنضير.^(١)

ومن الواضح أن ذلك العهد الذي أبرمه رسول ﷺ مع بني قريظة في أعقاب أحد وإجلاء بني النضير، لم يعمر طويلاً فقد جاء عند السيوطي إنه بعد جلاء بني النضير بقيت قريظة بعدهم عاماً أو عامين على عهد بينهم وبين نبي الله ﷺ فلما جاء المشركون يوم الأحزاب نقضوا العهد.^(٢) أما الكيفية التي نقض فيها العهد وما السبب وراء ذلك فهو مثبت في المصادر التاريخية، التي ناقشت غزوة الأحزاب [الخنندق]، تلك التي وقعت في ذي القعدة وقيل في شوال^(٣) سنة خمس من مهاجرة عليه الصلاة والسلام، حيث إنها وثيقة الصلة بقريظة ونقضها العهد وما آل إليه أمرها أخيراً.

ويتبين من الرواية التي قدمها ابن سعد عن وقعة الأحزاب^(٤)، أن زعماء يهود بني النضير الذين أجلوا إلى خيبر، هم الذين تزعموا حركة تحزيب الأحزاب وجمعوا قريشاً وغيرها من القبائل العربية على محاربة المسلمين في المدينة. وفي غمرة استعدادات المسلمين لمواجهة الأحزاب، حضروا خندقاً شمال المدينة فأصبحت محصنة من جهتها الشمالية، أما بقية الجهات فهي محوطة بالمزارع والبنيان^(٥)، إضافة إلى أن الحرار التي تحيط بالمدينة من الغرب والشرق تُعد موانع طبيعية حيث يتعذر على الإبل والخيول اجتيازها. وكانت قبيلة بني قريظة تقطن الجهة الجنوبية الشرقية تقريباً من المدينة، ويفترض أنها مسؤولة عن الدفاع

(١) ابن الجوزي: زاد المسير، ج ١، ص ١٢٠.

(٢) عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، محمد أمين دمج، د.ت، ج ٦، ص ١٩٠.

(٣) انظر ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٤) انظر ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٦٥-٧٤.

(٥) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٤٦-٤٥٠.

عنها^(١). وقد استعار المسلمون من قريظة آلات كثيرة من مساح وكرازين ومكاتل يحضرون بها الخندق^(٢). ولم يقلق المسلمون كثيراً على الجهة التي تقطنها قريظة فقد كان كعب بن أسد القرظي، زعيم قريظة وأدع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك وعاقده^(٣).

واستمرت مدة حصار الأحزاب للمدينة عشرين يوماً أو أقل. فقد قيل إنها بضعة عشر يوماً وقيل عشرين يوماً، ويقال خمسة عشر يوماً، وهذا الذي رجحه الواقدي^(٤). وكانت حالة الجو وأحوال المسلمين النفسية والمعاشية حينذاك في غاية السوء، فكان حذيفة بن اليمان يقول: "لقد رأيتنا في الخندق مع رسول الله ﷺ في ليلة شديدة البرد قد اجتمع علينا البرد والجوع والخوف"^(٥).

ويظهر من بعض الروايات أنه لم يقع كبير قتال بين المسلمين والمشركين طيلة أيام الحصار، إلا بعض المناوشات والمراعاة المتقطعة إضافة إلى المبارزة الفردية المحدودة^(٦).

ب - نقض بني قريظة للعهد:

بيدو أن الأحزاب استطاعوا إغراء يهود بني قريظة بالانضمام إليهم والغدر بالمسلمين فأصبح المسلمون بين فكي الأسد كما يقال فقد ذهب حبي بن أخطب زعيم بني النضير إلى بني قريظة وحثهم على الوقوف بجانب الأحزاب ضد

(١) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٤. بالنسبة لنمازل يهود بني قريظة والنضير فإنهم يسكنون على

وادي مذيئيب ومهزور في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة والتي تعرف بالعوالي. انظر إبراهيم بن علي العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، الطبعة الثانية، المدينة، مكتبة الثقافة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٣١- ٣٣.

(٢) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٤٥.

(٣) انظر الطبري: جامع البيان، ج ١٩، ص ١٣٠؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ١٣١.

(٤) انظر الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٩١؛ وقارن الزهري: المغازي، ص ٧٩.

(٥) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٨٨.

(٦) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٢٣٤- ٢٣٧؛ الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٤٦- ٤٧٤.

المسلمين. "فوائدهم وعاهداهم لئن انقضت جموع الأحزاب أن يجيء حتى يدخل معهم أطعمهم فأطاعوه حينئذ بالغدر بالنبي والمسلمين".^(١)

ومن ثم نقض كعب العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ ودعا حُني بالكتاب الذي كتب رسول الله ﷺ بينهم فنشقه حُني.^(٢)

وفي هذه الأثناء علم رسول الله ﷺ أن قريظة نقضت عهدها، فقد أخبره عمر بن الخطاب، أن بني قريظة نقضت العهد وحاربت^(٣). وجاء في رواية أخرى، أن يهود بني قريظة مزقوا "صحيفة القضية" التي كانت بين رسول الله ﷺ وبينهم ونبذوا إلى رسول الله ﷺ بالحرب، وتحصنوا^(٤).

وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، فقال: اذهب إلى بني قريظة، فذهب ثم رجع فقال: يا رسول الله، رأيتهم يصلحون حصونهم ويُدرّبون طرقتهم، وقد جمعوا ماشيتهم^(٥). وإمعاناً من رسول الله ﷺ في الروية وعدم أخذ القوم بالظن، أرسل إلى بني قريظة سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير ليكلموهم^(٦). ولكن لما انتهى وفد رسول الله ﷺ إلى كعب، زعيم قريظة وجدوا القوم قد نقضوا العهد. فنادشواهم الله والعهد الذي بينهم، فقال كعب: لا نرده أبداً، قد قطعته كما قطعت هذا القبال، قبال نعله^(٧).

إن خيانة قريظة للرسول والمسلمين مؤكدة بشهادة القرآن الكريم لذلك فليس هناك مجال للشك فيما أقدموا عليه، لهذا فإنه في النهاية يجب التعويل على ما جاء في القرآن الكريم في تصوير ما حدث، فعندما عاد الوفد إلى رسول الله

^(١) الزهري: المغازي، ص ٨٢.

^(٢) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٦.

^(٣) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٧؛ وانظر ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٢٣٢.

^(٤) موسى بن عتبة: المغازي، ص ٢١٧.

^(٥) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٧.

^(٦) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٨.

^(٧) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٨.

وَأَخْبِرْهُ بِحَقِيقَةِ نَقْضِ قَرِيطَةِ الْعَهْدِ، وَشَاعَ الْخَبَرُ فِي مَعْسَكِ الْمُسْلِمِينَ، عَظُمَ الْبِلَاءُ، وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ظَنٍّ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ بَنِي حَارِثَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ بَيَّوتْنَا عَوْرَةَ مِنْ الْعَدُوِّ، فَأَذْنُ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إِلَى دَارِنَا، فَإِنَّهَا خَارِجٌ مِنَ الْمَدِينَةِ^(١). وَخِيفَ عَلَى الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ وَجَاهُ الْعَدُوِّ، لَا يَسْتَطِيعُونَ الزَّوَالَ عَنْ مَكَانِهِمْ يَعْتَقِبُونَ خَنْدَقَهُمْ وَيَحْرُسُونَهُ وَتَكَلِّمُ قَوْمَ بِكَالَامِ قَبِيحٍ، فَقَالَ مُعْتَبُ بْنُ قَشِيرٍ: يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ كَنْزَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَأْمَنُ يَذْهَبُ إِلَى حَاجَتِهِ، مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا^(٢).

وَصَوَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمُرَامَةَ الدِّينِيَّةَ الَّتِي حَاكَتْهَا الْأَحْزَابُ ضَدَّ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا صَوَّرَ أَلْبَغَ تَصْوِيرِ الْهَلَعِ النَّفْسِيِّ الَّذِي أَحَاطَ بِهِمْ حَتَّى زَاغَتْ أَبْصَارُهُمْ وَبَلَّغَتْ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ وَتَسَرَّبَ إِلَى نَفُوسِ بَعْضِ ضِعَافِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ أَيْ الْمُنَافِقِينَ سُوءَ الظَّنِّ بِاللَّهِ، إِذْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُّونَ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الْأَحْزَاب: ١٠ - ١٢].

اختلف المفسرون في تحديد المقصود بالذين جاؤوا من فوق المسلمين ومن أسفل منهم، فأورد الطبري عدة أقوال منها، عن مجاهد، أن المراد بالذين جاؤوهم من فوقهم غيبية بن حصن بن بدر في أهل نجد ومن أسفل منهم أبو سفيان، وواجهتهم قريظة^(٣). ونقل الطبري عن ابن إسحاق أن الذين جاؤوهم من فوقهم: قريظة والذين جاؤوهم من أسفل منهم قريش وغطفان^(٤). وجاء في رواية

(١) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٢٢٣؛ الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٩.

(٢) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٣) انظر الطبري: جامع البيان، ج ٢١، ص ١٢٩؛ السيوطي: الدر المنثور، ج ٥، ص ١٨٧.

(٤) الطبري: جامع البيان، ج ٢١، ص ١٣١؛ ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٢٥٧.

عن حذيفة بن اليمان قوله: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل نخافهم على ذرارينا^(١).

وصاحب هذه الحال من الخوف والفرع التي أملت بالمسلمين جراء تكالب الأحزاب عليهم في تلك الساعة العصبية تسلط يهود بني قريظة عليهم والتحرش بهم وتهديد أطامهم التي فيها نساؤهم وأولادهم وتهديد طرقهم وسابلتهم، يضاف إلى ذلك ما ذكرته بعض المصادر المتأخرة أن بني قريظة كانوا يمدون قريشاً في أثناء حصارها للمسلمين بالتمر والشعير وحتى علف الماشية^(٢).

وهكذا في هذا الجو النفسي المشحون بالقلق والخوف، وظهور الغدر من حلفاء الأمس، بني قريظة، وظهور المنافقين، على حقيقتهم ودعوتهم السافرة بالعودة إلى منازلهم بالمدينة ومجاهرتهم بتكذيبهم الله ورسوله، بقولهم: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. وأمام الإصرار العنيد لقريش وحلفائها على منازلة المسلمين وكسر شوكتهم، أمام ذلك كله شعر الرسول الكريم بهول الموقف وثقل المسؤولية التي تتطلب حماية المعتقد وتأمين سلامة المجتمع، ولذلك فقد قرر أن يجرب "سلاح الدبلوماسية" لعله يفلح في تفريق جموع الأحزاب، فبدأ بمفاوضة زعماء غطفان مثل عيينة بن حصن والحرث بن عوف على أن يعطيهم نصيباً من تمر المدينة على أن يرجعوا بقومهم ويخذلوا بين الأحزاب. ويبدو كذلك أن أمر مفاوضة رسول الله ﷺ لهم لم تعد سراً فقد علمت قريظة بذلك، وقيل إن أحد زعمائها، الزبير بن باطا، قال: "وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض تمر الأوس وتتصرف"^(٣). وما دامت قريظة علمت بالأمر

^(١) السيوطي: الدر المنثور، ج ٥، ص ١٨٤.

^(٢) علي بن أحمد السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ١، ص ٣٠٤؛ علي بن برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ص ٦٤٧.

^(٣) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٨٣.

فإن ما حدث لم يُعد سراً فلا بد أن خبر المفاوضة وصل إلى قريش وبقية حلفائها وأن شعوراً من عدم الثقة سرى في نفوس جميع قادة الأحزاب، ومن هنا ضعفت معنوياتهم واستعدادهم القتالي.

وفي هذه الظروف برز نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي^(١) الذي قيل إنه أسلم ليالي الخندق سراً دون علم قومه، وأن رسول الله ﷺ كلفه بتفريق كلمة الأحزاب قائلاً له: "إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة"^(٢). ويظهر أن نعيماً نجح في مسعاه وحقق رغبة رسول الله ﷺ في تفريق كلمة الأحزاب.

قال ابن سعد في روايته عن أبي نجيح: إذ جاء نعيم بن مسعود الأشجعي وكان يأمنه الفريقان جميعاً، فخذل بين الناس فانطلق الأحزاب منهزمين من غير قتال، فذلك قوله: وكفى الله المؤمنين القتال^(٣).

ومهما تكن خطورة الدور الذي قام به نعيم بن مسعود في تفريق شمل الأحزاب ومهما قيل عن النجاح الذي أصابه في مسعاه، فإن مما لا شك فيه أن إرادة الله غالبية إذا اقتضت إرادته تشيت الأحزاب وردهم عما أرادوا. قال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]^(٤).

(١) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، صحابي مشهور، أسلم ليالي الخندق وهو الذي أوقع الخلف بين قريظة وغطفان، له رواية عن النبي ﷺ، كانت وفاته في أول خلافة علي بن أبي طالب وقيل في خلافة عثمان. ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٥٦٨، (ت: ٨٧٧٩).

(٢) ابن هشام: المسيرة، ج ٣، ص ٢٤٠.

(٣) انظر ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٧٣.

(٤) انظر تفسير هذه الآية لدى الطبري: جامع البيان، ج ٢١، ص ١٢٨؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ١٤٤.

فلما أصبح رسول الله ﷺ بالخندق أصبح وليس بحضرته أحد من العساكر، قد هربوا وذهبوا وانتشعوا إلى بلادهم، وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم فخرجوا مبادرين مسرورين بذلك^(١).

ج - حصار بني قريظة:

لم يكد النبي ﷺ يصل إلى بيته في المدينة، ويضع سلاحه ويغتسل حتى أتاه الأمر الإلهي بالمسير نحو قريظة، حدثت عائشة رضي الله عنها: أنه "لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح! والله ما وضعناه، فأخرج إليهم. قال: (فإلى أين؟) قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم"^(٢).

ولئن كان قرار مواجهة الأحزاب قراراً دفاعياً اتخذته رسول الله ﷺ لحماية المدينة من كيد قوى الشر المتحالفة فإن أمر المسير إلى قريظة، كان أمراً إلهياً ولا دخل لمشية النبي ﷺ فيه، حيث إنه منفذ لمشية الله، لذلك فقد أمر مناديه أن ينادي في أرجاء المدينة "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"^(٣). وجاء عند مسلم عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ نادى في الناس يوم انصراف الأحزاب "أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة"^(٤). وسواء كانت صلاة المسلمين الظهر أو العصر في بني قريظة فإنه مما لا خلاف فيه أنه لم تغب شمس ذلك اليوم إلا والمسلمون يحاصرون قريظة في حصونهم.

وقدّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بربايته إلى بني قريظة، وتلاحق به

(١) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٩١.

(٢) البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ١٥١٠، (حديث: ٤٨٩١).

(٣) البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ١٥١٠، (حديث: ٣٨٩٣).

(٤) انظر: مسلم: صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٩١، (حديث: ١٧٧٠)؛ وقارن: ابن هشام: السيرة، حيث ذكر أن رسول الله ﷺ أمر مؤذنا في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، ج ٢، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

الناس^(١). وكان ذلك في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فدعاهم إلى الإسلام قبل أن يتأثلمهم، فأبوا أن يجيبوه إلى الإسلام فحاصروهم خمسة عشر يوماً، ثم انصرف يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس للهجرة^(٢).

يتبين من بعض الروايات أنه لم يحدث قتال مباشر بين المسلمين واليهود إلا المراماة بالنبال والحجارة من بعيد، إضافة إلى الحصار الذي ضربه المسلمون على حصون بني قريظة حتى أذعنوا للاستسلام.

ونتيجة لتضييق المسلمين الحصار عليهم وبأسهم من نجدة الأحزاب لهم، قرروا المفاوضات مع النبي ﷺ رجاء حفظ دمائهم، فأنزلوا نباش بن قيس، فكلم رسول الله ﷺ ساعة وقال: يا محمد، نزل على ما نزلت عليه بنو النضير، لك الأموال والحلقة وتحقن دماءنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري، ولنا ما حملت الإبل والحلقة، فأبى رسول الله ﷺ، فقالوا: فتحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل، فقال رسول الله ﷺ "لا، إلا أن تنزلوا على حكمي"^(٣).

د - استسلام بني قريظة:

فلما أصبح يهود بني قريظة في اليوم التالي، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بأسراهم فكتفوا رباطاً، وجعل على كتابتهم محمد بن مسلمة، ونحوها ناحية، وأخرجوا النساء والذرية من الحصون، فتوثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. فقال لهم الرسول: "ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟"

^(١) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٢٤٥.

^(٢) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٩٦؛ وقارن الزهري: المغازي، ص ٨١.

^(٣) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٢٤٦ - ٢٥٦؛ الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٥٠٩ - ٥١٨.

قالوا: بلى. قال: فذاك إلى سعد بن معاذ.^(١)

فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد، قال رسول الله ﷺ للأَنْصار: "قوموا إلى سيدكم، أو خيركم" فقال: "هؤلاء نزلوا على حكمك". فقال: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم. فقال رسول الله ﷺ: "قضيت بحكم الله"، وربما قال: "بحكم الملك"^(٢). وجاء في حديث آخر رواية عن عائشة أم المؤمنين، أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة فنزلوا على حكمه، فرد الحكم على سعد، قال: فإني أحكم فيهم: "أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم"^(٣).

وجاء في رواية أخرى عن عائشة، أن رسول الله ﷺ حاصر بني قريظة خمساً وعشرين ليلة. فلما اشتد عليهم البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ. فقالوا: نزل على حكم سعد بن معاذ فقال لهم: انزلوا على حكم سعد، فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد فلما جاء قال له: "أحكم فيهم"، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم. فقال له: رسول الله ﷺ: لقد "حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله"^(٤).

وبعد صدور حكم سعد بن معاذ، استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأة من بني النجار، ثم خرج إلى سوق المدينة فخندق بها

^(١) ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٢٤٦-٢٥٦؛ وقارن الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٥٠٩-٥١٨.

^(٢) البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ١٥١، (حديث: ٢٨٩٥)؛ مسلم: صحيح، ج ٣، ص ١٣٨٨-

١٣٩٨، (حديث: ١٧٦٨).

^(٣) البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ١٥١، (حديث: ٢٨٩٦).

^(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب الأموال، تحقيق: محمد عمارة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٩هـ، ص ٢١٥؛ حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، تحقيق: شاكِر ذيب فياض، الطبعة الأولى، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣، (حديث: ٥٣٦)؛ وقارن الزهري: المغازي، ص ٨١-٨٢.

خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق^(١).

واختلفت المصادر في عدد من قتل من بني قريظة، فقال موسى بن عقبة زعموا أنهم كانوا ستمائة مقاتل^(٢). وجاء عند ابن إسحاق من دون سند أنهم ستمائة أو سبعمائة. والمكثر لهم يقول بين الثمانمائة والتسعمائة^(٣).

ونقل لنا أبو الزبير^(٤) عن جابر بن عبد الله قوله: أن بني قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم أن يقتل رجالهم ويستحيي نساءهم يستعين بهم المسلمون. فقال رسول الله ﷺ: "أصبحت حكم الله فيهم"، وكانوا أربعمائة فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات^(٥).

هذه الرواية الأخيرة، أي رواية أبي الزبير عن جابر بن عبد الله لا إشكال في سندها ولكن الجملة الأخيرة في الرواية قد تكون موضع تساؤل، فعبارة "وكانوا أربعمائة ليس واضحاً هل هي جزء من حديث جابر بن عبد الله أم أنها زيادة في الإيضاح أدخلها أبو الزبير؟

وقريب من رواية جابر ما نقله ابن هشام عن أبي عمرو المدني، أنه لما ظفر رسول الله ﷺ ببني قريظة أخذ منهم نحواً من أربعمائة رجل من اليهود فأمر بأن تضرب أعناقهم^(٦)، وهي رواية - إضافة إلى انقطاع سندها - لا تخلو من

(١) ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٢٥١ - ٢٥٢. وبت الحارث: هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن زيد الأنصاري النجارية، ورد ذكرها بين الباءيات لرسول الله ﷺ وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعه. انظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٣٠٥، (ت: ٤٣٢).

(٢) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٦٦.

(٣) ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٢٥٢.

(٤) انظر ترجمة أبي الزبير عند ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، تحقيق خليل مأمون شيعا وآخرون، الطبعة الأولى، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ٥، ص ٢٦٣ - ٢٦٥.

(٥) لمزيد من الإطلاع على الأقوال المختلفة بشأن عدد قتلى بني قريظة، انظر:

M. J. Kister. "The Massacre of the Banu Qurayza" p.89.

(٦) ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٦٣.

إشكال فيما يتعلق بعدد من قُتل من يهود بني قريظة، فإذا كان الرسول ﷺ قد أخذ منهم أربعمئة وأمر بضرب رقابهم فكيف يكون عدد الذين مَن عليهم. ثم أين حكومة سعد بن معاذ التي تحدثت عنها مصادر السيرة والسنة على السواء؟

أما الرواية الأخيرة بصدد هذا الموضوع فهي رواية الزهري، قال ابن زنجويه: "ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد، حدثني عُقيل^(١) عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ غدا إلى بني قريظة، فحاصروهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فقتل بآن يقتل رجالهم، وتقسم ذرايعهم وأموالهم، فقتل منهم يومئذ أربعون رجلاً، إلا عمرو بن سعد أسعدى؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنه كان يأمر بالوفاء وينهى عن الغدر؛ فلذلك نجا"^(٢).

ومما قد يشجع على قبول هذه الرواية أنها صحيحة الإسناد إلى الزهري: ولم يقدح المحدثون في عُقيل بن خالد رواية الزهري المباشر المضافة إلى أن العدد "أربعون" ربما يكون أقرب إلى الواقع. ويجب كذلك ملاحظة سهولة تحريف العدد من "أربعين" إلى الأربعمئة. وإذا أعيد النظر في رواية أبي عمرو المدني المتصلة بأخذ النبي ﷺ أربعمئة من اليهود، وقوبلت مع رواية الزهري، جاز الفرض أن رواية أبي عمرو قد تعرضت للتحريف فأصبح الأربعون أربعمئة، وهذا أمر ليس نادر الحدوث. علماً أن القول "فأخذ منهم أربعين" أقرب إلى المنطق من الأربعمئة إذ أن ذلك ربما ينصرف إلى عدد القياديين منهم ليس غير.

في ضوء هذه التقديرات المتعارضة حول عدد من نُفذت فيهم عقوبة الموت من يهود بني قريظة، ألا يمكن الافتراض أن العقوبة لم تكن جماعية أي ربما أنها

^(١) انظر ترجمة عُقيل بن خالد بن عُقيل الأبلج عند ابن رجب العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٤، ص ١٥٦-١٥٧.

^(٢) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ١٩٣، (حديث: ٣٠١)، ص ٢١٦، (حديث: ٣٤٩). وذكر محقق كتاب الأموال في حاشية ص ١٩٣: "أنه ورد في النسخة الشامية بزيادة (أربعون رجلاً)، وبه أمش النسخة المصرية كذلك: وقال إنها نسخة ابن بادي."

اقتصرت على من باشروا القتال ضد المسلمين فحسب، وأن العدد الأكبر منهم نجا من الموت وإذا كان هذا الفرض جائزاً فماذا كان مصيرهم؟ ألا يحتمل أن النبي ﷺ قد أجلاهم عن المدينة؟

إنه احتمال قريب. وإذا كان هذا الاحتمال مقبولاً فإنه من المبالغة القول أن النبي ﷺ قد أوقع القتل في جميع رجال بني قريظة، ولعل الأقرب إلى الصواب أن من قتل منهم كانوا قلة أي ربما كانوا أربعين رجلاً، أما بقيتهم فقد أُجلوا من المدينة.

أما ما قيل عن السبي من النساء والأطفال وأنهم بيعوا خارج الحجاز فيحتمل أن المقصود بهم عائلات أولئك الذين نفذ فيهم حكم القتل. علماً بأن ما قيل عن الأماكن التي نقلوا إليها وبيعوا فيها محل خلاف^(١).

ومهما كان الاختلاف في عدة من قتل من بني قريظة. وهم الذين ارتكبوا الخيانة العظمى في وقت الحرب ضد الدولة التي يعيشون في ظلها فإن ذلك لا يقارن بالمذابح التي ارتكبها الصليبيون في حق المسلمين بالمسجد الأقصى سنة ٤٩٢هـ ولا يقارن كذلك بالمذابح التي ارتكبها اليهود ضد الفلسطينيين في دير ياسين وغيرها من القرى (٤٧- ١٩٤٨م) ولا كذلك المذابح التي أقدم عليها الصرب في البوسنة قبل سنوات خلت في حق أكثر من (٨ آلاف) مسلم وذلك تحت اسم الأمم المتحدة وبصرها وفي قلب ما يطلق عليه العالم المتحضر أي أوروبا! وهي مذابح لا يمكن تسويقها ولا الدفاع عنها.

وأخيراً يظل السؤال المتعلق بإجلاء النبي ﷺ لليهود عن المدينة قائماً. أي هل قام ﷺ بإجلاء كل يهودي بالمدينة أم أن الإجلاء اقتصر على ذوي الخطر منهم؟ أي القبائل الثلاث موضوع هذا البحث؟

إجمالاً فإن الوقائع التاريخية تشير بوضوح إلى أن الإجلاء اقتصر على

(١) انظر محمد الجميل: النبي ﷺ ويهود المدينة، ص ٢٢٦- ٢٥١.

القبائل اليهودية الثلاث؛ أي قينقاع والنضير ومن كتبت له النجاة من بني قريظة.

أما اليهود الذين لم يضمروا العداوة للمسلمين فقد ظلوا في المدينة دون أن يمسهم أذى. بل إن أحد زعماء يهود بني قينقاع حسب إحدى الروايات والمعروف بابن التابوت قد ظل في المدينة حتى وفاته في السنة السادسة من الهجرة ولم يرحل مع قومه الذين أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة في أواخر السنة الثانية من الهجرة^(١).

وفي أثناء استعدادات المسلمين لغزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة كان بعض اليهود في المدينة يثبطون من عزائم المسلمين ويخوفونهم من يهود خيبر فقد جاء عند الواقدي قوله: "فلما تجهز الناس إلى خيبر شق ذلك على يهود المدينة الذين هم موادعون لرسول الله ﷺ أيام أبيق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه ..."^(٢).

وقال أبو الشعم اليهودي مخاطباً أحد أصحاب رسول ﷺ: "تحسب أن قتال خيبر مثل ما تلقونه من الأعراب؟ فيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل"^(٣). وحتى في غمرة استعداد المسلمين للخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة كان لا يزال في المدينة بعض اليهود الذين أخذوا يثبطون المسلمين عن الخروج مع رسول الله ﷺ ويخذلون الناس عنه، ومن أولئك سويلم اليهودي إذ جعل من بيته مأوى للمنافقين^(٤). وعندما عسكر رسول الله ﷺ بجيشه المتوجه إلى تبوك في ثنية الوداع، أقبل عبد الله ابن أبي أحد سادة الخزرج ورأس المنافقين أقبل بعسكره فضربه بحذاء جيش المسلمين ومعه حفاؤه من اليهود والمنافقين. فكان

^(١) انظر ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٣٠٤؛ وقارن الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٢٣؛ وانظر البلاذري، أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة: دار المعارف، د: ت، ج ١، ص ٢٨٥، حيث ذكر في هذا الموضع أن رفاعه بن التابوت من يهود بني قريظة.

^(٢) انظر الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٦٣٤؛ وقارن ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ١٠٦.

^(٣) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٦٣٤.

^(٤) ابن هشام: السيرة، ج ٤، ص ١٧٠ - ١٧١.

يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين^(١). وواضح ما في تقدير عدد أتباع ابن أبي من مبالغة ولكن المهم هنا هو الإشارة إلى وجود اليهود في المدينة في السنة التاسعة من الهجرة وكانوا من حيث العدد والقوة أن استعان بهم ابن أبي.

وجاء في رواية عن أبي هريرة ربما كان حدوثها ما بين السنة السابعة والعاشرة من الهجرة، قال فيها: "بينما نحن في المسجد، خرج النبي ﷺ، فقال: "انطلقوا إلى يهود" فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال: "أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فأعلموا أن الأرض لله ورسوله"^(٢).

وعلى كل فإن أحداث السيرة لم تشر إلى أن الرسول ﷺ قد أجلى يهوداً من المدينة بعد السنة الخامسة من الهجرة لذلك فليس من المستبعد أن ما جاء في رواية أبي هريرة بقي مجرد إنذار لم ينفذ. ولو كان قد وقع لأظنبت مصادر السيرة في الحديث عنه.

ولعل من الطريف في أمر العلاقة بين النبي ﷺ واليهود في المدينة هو ما جاء عن أم المؤمنين عائشة، قالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير"^(٣).

إن تعامل النبي ﷺ مع اليهودي ربما كان إشارة مقصودة منه الغرض منها الإيحاء للمسلمين في المدينة وغيرها بعدم مقاطعة اليهود أو عزلهم ما دام أنهم غير

^(١) انظر الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٩٩٥؛ وقارن ابن هشام: السيرة، ج ٤، ص ١٧٣.

^(٢) البخاري: الصحيح، ج ٢، ص ١١٥٥ (ح: ٢٩٩٦).

^(٣) البخاري: الصحيح، ج ٢، ص ١٠٦٨ (ح: ٢٧٥٩)؛ وقارن الترمذي: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، مصر، مطبعة الحلبي، ١٣٩٦ هـ، ج ٢، ص ٥١٠-٥١١ (ح: ١٢١٤، ١٢١٥). كما هو واضح، فقد ورد حديث رهن الدرع موقفاً من قبل أئمة الحديث، ولا مجال للظن فيه، ولكن لا بأس من التساؤل عن نصيب رسول الله ﷺ وأهل بيته من غنائم خيبر وفدك؟ إذ أن فدك على وجه الخصوص كانت خالصة لرسول الله ﷺ.

محاربين؛ بل إنه لا بأس بالإختلاط بهم في أمور البيع والشراء وما شابه ذلك من ضرورات التعايش تأسيساً برسول الله ﷺ وامتنالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ [الأحزاب: من الآية ٢١].

الخاتمة:

خلاصة ما سبق يمكن القول أنه من تتبع العلاقة بين النبي ﷺ والقبائل اليهودية في المدينة يظهر بوضوح أنه لم يكن لدى رسول الله ﷺ سياسة مرسومة، تجاه اليهود أو نية ميّبة لإجلاؤهم، بل كان على استعداد تام للتعاضد معهم ما داموا مسلمين. والذي قام به رسول الله ﷺ تجاه تلك القبائل أخيراً ما هو إلا ردود أفعال لما كانوا يقومون به من خيانة وتحريض وعدوان على المسلمين.

فبنوا قينقاع مثلاً أُجلوا من المدينة بسبب تدخلهم الفج في شئون المجتمع المسلم بالمدينة والمتمثل بالتحريض بين المسلمين والسعي للوقعة بينهم والتحدي السافر لمشاعرهم. وكذلك الأمر فيما يتعلق بيهود بني النضير الذين طالما تعاونا مع قريش ضد المسلمين وتآمروا على حياة الرسول ﷺ والتخطيط لاختياله، كل هذه الأسباب كانت وراء إجلائهم.

أما يهود بني قريظة فإن ما نزل بهم من عقوبة كان نظير خيانتهم العظمى للأمة وقت الحرب ووقوفهم بجانب الأحزاب في ساعة عصيبة واجهت فيها الأمة خطر الإبادة والقضاء على الإسلام ودولته جراء تلك المؤامرة الدنيئة. وعلى الرغم من ذلك فإن عقوبة القتل لم تكن عقوبة جماعية بل نفذت في فريق منهم وكذلك الأمر فيما يتصل بالسبي، فليس من المستبعد أن من وقع عليهم السبي هم عائلات أولئك الذين قتلوا، أما البقية فلا بد وأنهم أُجلوا عن المدينة.

لذلك فإن إجلاء القبائل اليهودية الثلاث عن المدينة لم يكن بسبب كونهم من بني إسرائيل أو بسبب ديانتهم اليهودية ولا كذلك بسبب الرغبة في الاستحواذ على ممتلكاتهم وأموالهم بل بسبب تجاوزاتهم الخطرة، بدليل أن بقية الجماعات اليهودية التي لم تضمّر كيداً للمسلمين ولا عداءً وظلوا موادعين أوفياء لعهودهم بقوا في المدينة يمارسون حياتهم بأمن وسلام حتى بعد وفاة رسول الله ﷺ في السنة الحادية عشر للهجرة.

هذا ما أدى إليه الاجتهاد والله أعلم بالصواب.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن إسحاق، محمد المطليبي، السير والمغازي: تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى، د.م، دار الفكر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الرابعة، دمشق وبيروت، دار ابن كثير واليامة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ج.١.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، مصر، مكتبة الحلبي، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، ج.٣.
- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الرابعة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النمري القرطبي، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣٢٨هـ، بيروت، دار صادر، د.ت.
- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، تحقيق: خليل مأمون

- شيخا وآخرين، الطبعة الأولى، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبدالعزيز ابن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد: المسند، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د.ت.
- الحلبي، علي بن برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة: د.م، د.ت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- ابن دريد، محمد بن الحسن: الإشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ابن رسته، علي بن أحمد بن عمر: الأعلام النفيسة، وبذيله كتاب البلدان، تأليف أحمد بن يعقوب اليعقوبي، ليدن، بريل، ١٩٨٢م.
- الرازي، محمد بن عمر: تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ.
- ابن زنجويه، حميد: كتاب الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، الطبعة الأولى، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب: المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- ابن سعد، محمد بن منيع البصري: كتاب الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د.ت.
- السهودي، علي بن أحمد: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالماثور، بيروت: محمد أمين دمج.
- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- أبو عبيد، القاسم بن سلام: كتاب الأموال، تحقيق محمد عمارة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٩هـ.
- عروة بن الزبير: مغازي رسول الله ﷺ، جمع وتحقيق محمد مصطفى الأعظمي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- موسى بن عتبة: المغازي، جمع ودراسة وتحقيق: محمد باقشيش أبو مالك، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٤م.
- النيسابوري، علي بن أحمد: أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر، بيروت، دار المعرفة.

- الواقدي، محمد بن عمر: المغازي، تحقيق مارسدن جونز، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب، مصر: مطبعة الإ اعتماد، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- اليعقوبي، أحمد بن يعقوب: تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٠هـ.
- Ahmad, barakat. Muhammad and the Jews: A re-examination (New Delhi: 1957) Andrae, Tor.
- Gil, Moshe. "The Origin of the Jews of Yathrib" JSAL. 4, (1984) pp.203-224.
- Jones, J. M. B. "The Chronology of the Maghazi., Atextual Survey" BSOAS Vol? XIX (London: 1957) pp.245 - 280.
- Kister, M. J. "The Massacre of the Banu Qurayza. A re-examination of the tradition" ISAL, 8, (1986). pp.61-98.